سورة الأعراف

٣٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ..﴿٢﴾﴾ أى ضيق من الكتاب أن تبلغه مخافة أن تكذب والنهى فى اللفظ للحرج والمراد المخاطب مبالغة فى النهى عن ذلك كأنه قيل: لا تتسبب فى شىء ينشأ منه حرج وهو من باب «لا أرينك ههنا» النهى فى اللفظ للمتكلم، والمراد المخاطب أى لا تكن بحضرتى فأراك ومثله ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٦].

٣٤١ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾ أى أردنا اهلاكها.

٣٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ جمع ميزان القيامة مع أنه واحد باعتبار تعدد ما يوزن به من الأعمال، أو باعتبار أنه يقوم مقام موازين كثيرة لأنه يميز الذرة وما هو كالجبال.

فإن قلت: الأعمال أعراض فكيف توزن؟

قلت: يصيرها الله أجسامًا، أو الموزون صحائفها.

٣٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ..﴿١١﴾﴾ أتى بـ ﴿ثم﴾ الثانية وهى للترتيب مع أن الأمر بالسجود لآدم، كان قبل خلقنا وتصويرنا لأن ﴿ثم﴾ هنا للترتيب الاخبارى أو لتفاوت ما بين نعمتى السجود له وما قبله، لأن السجود له أكمل إحسانًا، وأتم إنعامًا مما قبله.

أو المراد: ولقد خلقنا آباكم ثم صورناه بحذف مضاف.

٣٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ .. ﴿١٢﴾﴾ قال ذلك هنا، وقال فى الحجر: ﴿قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين﴾.

وفى «ص»: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى﴾ بزيادة ﴿يا ابليس﴾ فيهما لأن خطابه هنا قرب من ذكره فحسن حذف ذلك وفى تينك لم يقرب منه قربه هنا، ، فحسن ذكره.

وأما قوله هنا وفى «ص» ﴿منعك﴾ وفى «الحجر» ﴿مالك﴾؟ فتفنن جريًا على عادة العرب فى تفننهم فى الكلام.

وقوله: ﴿ألا تسجد﴾ قال ذلك بزيادة «لا» كما فى قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ وقال فى «ص» بحذفها وهو الأصل، فزيادتها هنا لتأكيد معنى النفس فى ﴿منعك﴾.

أو لتضمن ﴿منعك﴾ حملك وهى على الثانى ليست زائدة فى المعنى.

٣٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ أى فى السماء .. خصها بالذكر لأنها مقر الملائكة المطيعين الذين لا يعصون الله وإلا فليس لإبليس أن يتكبر فى الأرض أيضًا.

٣٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ قاله هنا بحذف الفاء، موافقة لحذف ﴿يا إبليس﴾ هنا. وقال فى «الحجر:٣٦» و«ص: ٨٠» بذكرها موافقة لذكره ثم لما تضمنه النداء من ﴿ادعوك﴾ وأناديك، كما فى قوله تعالى: ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾.

٣٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ قاله هنا بحذف الفاء موافقة لحذفها فى السؤال هنا.

وقال فى «الحجر» و«ص» بذكرها موافقة لذكرها فيه ثم.

---

٣٤٤ ـ انظر البرهان ١١٩، والنووى ١٤٢، وتفسير الطبرى ٨/ ٩٦، والقرطبى ٧/ ١٤٧.
٣٤٦ ـ البرهان ١٢١، والنووى ١٤٣، وتفسير القرطبى ٧/ ١٤٧.
٣٤٧ ـ انظر : البرهان ١٢٢.

فإن قلت: كيف أجيب إبليس إلى الأنظار مع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال عباد الله تعالى؟

قلت: لما فى ذلك من ابتلاء العباد، ولما فى مخالفته من أعظم الثواب.

٣٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾. قال ذلك هنا بالفاء وبـ «الحجر: ٣٩» بحذفها مع اتفاقهما فى مدخول الباء.

وقال فى «ص» ﴿فبعزتك﴾ بالفاء مع مخالفته لتيك فى مدخول الباء. لأن «الفاء» وقعت هنا فى محلها وفى «ص» لأنها متسببة عما قبلها ولا مانع فحسنت ولم تحسن فى «الحجر» لوقوع النداء ثم فى قوله ﴿رب بما اغويتنى﴾ والنداء يستأنف له الكلام ويقطع، والـ «باء» فى المواضع الثلاثة للسببية أو بقسم وما بعدها فى «ص» موافق لما بعدها فى غيرها فى المعنى وإن خالفه لفظًا فلا اختلاف فى الحقيقة إذ غوى الله للشيطان يتضمن عزته تعالى.

٣٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ..﴿٢٠﴾﴾ اللام فيه «لام العاقبة» والصيرورة لا «لام كى» لأن الغرض إخراجهما من الجنة، لا كشف عورتهما، كما فى قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنا﴾ وقول الشاعر:

لدوا للموت وابنوا للخـــراب فكلكم يصير إلى التـــراب

٣٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أنه تعالى بدأنا أولاً نطفة، ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم لحمًا ونحن نعود بعد الموت كذلك؟

قلت: معناه: كما بدأكم من تراب كذلك تعودون منه، أو كما أوجدتكم بعد العدم كذلك يعيدكم بعده.. فالتشبيه فى نفس الإحياء والخلق لا فى الكيفية والترتيب.

٣٥١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ..﴿٣٢﴾﴾.

إن قلت: كيف أخبر عن الزينة والطيبات بأنهما للذين آمنوا فى الحياة الدنيا مع أن المشاهد أنهما لغير الذين آمنوا أكثر وأدوم؟

قلت: فى الآية إضمار تقديره: قل هى للذين آمنوا غير خالصة فى الحياة الدنيا، خالصة للمؤمنين يوم القيامة.

٣٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴿٣٤﴾﴾.

قاله هنا وفى سائر المواضع بالفاء إلا فى «يونس:٤٩» فبحذفها لأن مدلولها فى غير يونس جملة معطوفة على أخرى مصدرة بالواو وبينها اتصال وتعقيب فحسن الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب، بخلاف ما فى يونس.

وقوله فى الآية ﴿ولا يستقدمون﴾ معطوفة على الجملة الشرطية لا على جواب الشرط، إذ لا يصح ترتيبه على الشرط.

٣٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٤٣﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الميراث هو ما ينتقل من ميت إلى حى وهو مفقود هنا؟

قلت: بل هو تشبيه أهل الجنة وأهل النار بالوارث والموروث عنه لأن الله خلق فى الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة.

أو لأن: دخول الجنة، لا يكون إلا برحمة الله تعالى لا بعمل فأشبه الميراث، وإن كانت الدرجات فيها بحسب الأعمال.

---

٣٥٢ ـ البرهان ١٢٦.

٣٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

قال ذلك هنا وقال فى «هود:١٩» ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ لأن ما هنا جاء على الأصل وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدم ﴿بالآخرة﴾ رعاية للفواصل.

وما فى «هود» وقع بعد قوله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ والقياس عليهم فلما عبر عنهم بالظالمين، التبس أنهم هم الذين كذبوا على ربهم أم غيرهم فقال: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم.

٣٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴿٥٦﴾﴾ الآية.

أى بعد أن أصلحها الله، بالأمر بالعدول وإرسال الرسل أو بعد أن أصلح الله أهلها بحذف مضاف.

٣٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ..﴿٥٧﴾﴾.

قاله هنا: وفى «الروم» بلفظ المضارع.

وقال فى «الفرقان:٤٨» و«فاطر:٩» أرسل بلفظ الماضى.

لأن ما هنا تقدمه ذكر الخوف والطمع فى قوله تعالى: ﴿وادعوه خوفًا وطمعًا﴾ وهما للمستقبل.

وما فى «الروم:٤٨» تقدمه التعبير بالمضارع مرات فى قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ الآية، فناسب ذكر المضارع فيهما.

وما فى «الفرقان» تقدمه التعبير بالماضى مرات فى قوله: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ وتأخر عنه ذلك فى قوله: ﴿وهو الذى مرج البحرين﴾ الآية.

---

٣٥٦ ـ البرهان ١٢٨، والبحر المحيط ٤/٣١٧.

وما فى «فاطر» تقدمه فى أولها «فاطر» و«جاعل» وهما بمعنى الماضى، فناسب ذكر الماضى فى السورتين.

٣٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ .. ﴿٥٩﴾﴾ قاله هنا بغير واو، وقاله فى «هود» و«المؤمنين» بواو لأن ما هنا مستأنف لم يتقدمه ذكر نبى وما فى «هود» تقدمه ذكر الأنبياء مرة بعد أخرى وما فى «المؤمنين» تقدمه ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وكلها بالواو فناسب ذكرها فيهما.

٣٥٨ ـ ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ..﴿٦٠﴾﴾.

قال هنا فى قصة «نوح» و«هود» بلا فاء لأنه خرج مخرج الابتداء وان تضمن الجواب، كما فى قوله تعالى: ﴿قالوا نحن أعلم بمن فيها﴾ بعد قوله: ﴿قال إن فيها لوطًا﴾، وقاله فى «هود: ٢٧» و«المؤمنين: ٢٧» بالفاء، لأنه وقع جوابًا لما قبله فناسبته الفاء.

فإن قلت: كيف وصف الملأ بـ ﴿الذين كفروا﴾ فى قصة هود دون قصة نوح عليهما الصلاة والسلام؟

قلت: لأنه كان قد آمن بهود بعضهم فلم يكونوا كلهم قائلين له: ﴿إنا لنراك فى سفاهة﴾ بخلاف قوم نوح فإنه لم يكن فيهم من آمن به إذ ذاك.

ونقض بأنه تعالى وصف أيضًا الملأ من قوم نوح بالكفر فى سورة هود.

وأجيب بجواز كون هذا القول وقع مرتين، المرة الثانية بعد إيمان بعضهم بخلاف المرة الأولى.

٣٥٩ ـ قوله تعالى: فى قصة نوح: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ..﴿٦٢﴾﴾ قال فيها بلفظ المضارع فى الجملة الثانية مناسبة للمضارع فى الأولى، كما عطف الماضى فى قوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ..﴿٩٣﴾﴾.

---

٣٥٨ ـ انظر البرهان بتحقيق السيد الجميلى مسألة رقم ١٢٩.

وقال فى قصة «هود» بلفظ اسم الفاعل مناسبة لاسم الفاعل قبله فى قوله: ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ وبعده فى قوله ﴿آمين﴾.

وعبر فى قصة «نوح» و«هود» بالمضارع فى الجملة الأولى، وفى قصة «صالح:٧٩» و«شعيب:٩٣» بالماضى فيهما، لأن ما فى الأولين وقع فى ابتداء الرسالة، وما فى الآخرين وقع فى آخرها.

٣٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

قاله هنا مرتين «٧٨ و٩١» وفى العنكبوت مرة، بالإفراد.

وقال فى «هود» ﴿فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ مرتين بالجمع لأن ما فى الموضع الأول، تقدمه ذكر الرجعة أى الزلزلة وهى تختص بجزء من الأرض، فناسبها الإفراد. وما فى الأخيرين، تقدمه ذكر الصيحة وكانت من السماء وهى زائدة على الرجفة فناسبها الجمع.

٣٦١ ـ قوله تعالى: فى قصة صالح: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي .. ﴿٧٩﴾﴾ قال ذلك فيها بالتوحيد (أى: بالإفراد) وقاله فى قصة شعيب بالجمع لأن ما أمر به شعيب قومه من التوحيد، وإيفاء الكيل، والنهى عن الصد، وإقامة الوزن بالقسط أكثر مما أمر به صالح قومه.

أو لأن شعيبًا: أرسل إلى أصحاب الأيكة وإلى مدين فجمع باعتبار تعدد المرسل إليهم. و«صالح» عليه السلام وحد باعتبار الجنس.

فإن قلت: كيف قال صالح لقومه، بعد ما أخذتهم الرجفة وماتوا: ﴿ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى﴾ الآية، ومخاطبة الحى للميت لا فائدة فيه؟

قلت: بل فيه فائدة، وهى نصيحة غيره فإن ذلك يستعمل عرفًا فيما ذكر، لأن من نصح غيره فلم يقبل منه حتى قتل ويراه ناصحه فإنه يقول له: كم نصحتك فلم تقبل حتى أصابك هذا حثًا للسامعين له، على قبولهم النصيحة.

٣٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

عبر هنا بلفظ السرف والاسم وفى «النمل» بلفظ الجهل والفعل تكثيرًا للفائدة فى التعبير عن المراد بلفظين متساويين معنى، إذ كل سرف جهل، وبالعكس، ورعاية للفواصل فى التعبير بالاسم والفعل، إذ الفواصل هنا أسماء وهى: «العالمين، المرسلين، الناصحين» إلى آخرها.

وفى النمل أفعال وهى: «يعلمون، يتقون، يبصرون» فناسب الاسم هنا، والفعل ثم.

٣٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ .. ﴿٨٢﴾﴾.

قاله هنا بالواو وفى «النمل: ٥٦» وفى «العنكبوت: ٢٩» فى الموضعين بالفاء.

لأن ما هنا: تقدمه اسم هو «مسرفون» والاسم لا يناسبه التعقيب. وما فى تينك تقدمه فعل هو «تجهلون» و«تقطعون» و«تأتون فى ناديكم المنكر» والفعل يناسبه التعقيب فناسب ذكر الفاء الدالة عليه ثم وذكر «الواو» هنا.

٣٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴿٨٨﴾﴾ فيه تغليب الجمع على الواحد، إذ منهم شعيب، ولم يكن فى ملتهم حتى يعود إليها، وكذا قول شعيب: ﴿إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾ على أن «عاد» تأتى بمعنى صار، كما فى قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

والمعنى: أن صرنا فى ملتكم.

٣٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿..وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ.. ﴿١٠١﴾﴾ قاله هنا بحذف المعمول وهو «به».. وفى «يونس: ٧٤» بإثباته تبعًا لما قبلهما فى الموضعين إذ قبل ما هنا ﴿ولكن كذبوا﴾ وقبل ما فى يونس ﴿كذبوا بآياتنا﴾ بإثباته.

---

٣٦٢ ـ راجع البرهان ١٤٢.

٣٦٣ ـ البرهان ١٤٣، والنووى ١٥٢.

٣٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ مع قوله بعد ﴿.. كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

قاله هنا أولاً بالنون وإضمار الفاعل وثانيًا بالياء وإظهار الفاعل وقال فى «يونس: ٧٤» بالنون والإضمار.. لأن الآيتين هنا تقدمهما الأمران: الياء مع الإظهار مرتين فى قوله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ والنون مع الإضمار فى قوله: ﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ فناسب الجمع بين الأمرين هنا.

والآية ثم تقدمها النون مع الإضمار فقط، فى قوله ﴿فنجيناهم﴾ ﴿وجعلناهم﴾ ﴿ثم بعثنا﴾ فناسب الاقتصار على النون مع الإضمار ثم.

٣٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

إن قلت: لم قال فرعون هذا، بعد قوله: ﴿إن كنت جئت بآية﴾؟

قلت: معناه: إن كنت جئت بآية من عند الله فأتنى بها.

فإن قلت: كيف قال تعالى هنا حكاية عن السحرة الذين أمنوا وعن فرعون ﴿قالوا آمنا برب العالمين.. إلى قوله وتوفنا مسلمين﴾ ثم حكى عنهم هذا فى «طه» و«الشعراء» بزيدة ونقصان واختلاف ألفاظ فى الألفاظ المنسوبة إليهم، والقصة واحدة فكيف اختلفت عبارتهم فيها؟

قلت: حكى الله ذلك عنهم مرارًا بألفاظ متساوية معنى جريًا على عادة العرب فى التفنن فى الكلام، والحذف فى محل إحالة على ذكره فى محل آخر، وإنما خولف فى ذلك لئلا يمل إذا تمحض تكراره.

والحكمة فى تكرار قصة موسى وغيرها من القصص تأكيد التحدى وإظهار الإعجاز ولهذا سمى الله القرآن «مثانى» لأنه تثنى فيه الإخبار

---

٣٦٦ ـ البرهان ١٤٦، والنووى ١٥٩، ومتشابه القرآن ١/٨٨، ٢٨٩/٢٥٩.

والقصص أو إفادة الغائب عن المرة السابقة فقد كان أصحاب النبى ﷺ يحضر بعضهم ويغيب بعضهم فى الغزوات فإذا حضر الغائبون، أكرمهم الله تعالى بإعادة الوحى تشريفًا لهم.

٣٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾.

إن قلت: كيف نسب القول هنا للملأ، ونسبه فى الشعراء لفرعون فى قوله تعالى: ﴿قال الملأ حوله إن هذا لساحر عليم﴾؟

قلت: قاله فرعون وهم، فحكى قوله ثم، وقولهم وحدهم أو معه هنا.

٣٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ قاله هنا بحذف ﴿بسحره﴾ وقاله فى «الشعراء: ٣٤» بإثباته لأن الآية هنا بنيت على الاختصار، ولأن ما قبل الآية هنا وهو ﴿لساحر عليم﴾ يدل على السحر بخلاف الآية ثم.

٣٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ قاله هنا بلفظ ﴿وأرسل﴾ وفى الشعراء بلفظ ﴿وابعث﴾«٣٦» وهما بمعنى واحد، تكثيرًا للفائدة فى التعبير عن المراد بلفظين متساويين معنى.

٣٧١ ـ قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ قاله هنا وفى «يونس» بلفظ ﴿ساحر﴾ موافقة لما قبله وهو ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ هنا و﴿إنه لا يفلح الساحرون﴾ فى يونس. وقرىء ﴿بكل سحار﴾ موافقة لما فى «الشعراء: ٣٧».

٣٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .. ﴿١٢٣﴾﴾ قاله هنا بلفظ ﴿به﴾ وقال فى طه والشعراء بلفظ ﴿له﴾ لأن الضمير هنا عائد إلى رب العالمين وفى تينك إلى موسى لقوله فيهما ﴿إنه لكبيركم﴾. وقيل: ﴿آمنتم به﴾ و﴿آمنتم له﴾ واحد.

٣٧٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

---

٣٧٠ ـ البرهان رقم المسألة ١٤٩، والنووى ١٦١، والطبرى ١٩/ ٤٦، والقرطبى ١٣/ ٩٩.

إن قلت: ما الجمع بينه وبين قوله فى الشعراء ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾؟ الآية

قلت: معنى «دمرنا» أبطلنا ما كان يصنع فرعون وقومه من المكر والكيد بموسى عليه السلام ﴿وما كانوا يعرشون﴾ يبنون من الصرح الذى أمر فرعون هامان ببنائه ليصعد بواسطته إلى السماء.

وقيل: هو على ظاهره من أن معنى «دمرنا» أهلكنا لأن الله تعالى أورث ذلك بنى اسرائيل مدة ثم دمره.

٣٧٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

أى نعمة عظيمة أن جعلت الإشارة راجعة إلى الانجاء فى قوله تعالى: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون﴾ أو محنة عظيمة، أن جعلت الإشارة راجعة إلى قتل الأبناء واستحياء النساء فى قوله تعالى: ﴿يقتلون أبناءكم ويستحيون نسائكم﴾. إذ البلاء بين «النعمة» و«المحنة» قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ .. ﴿١٦٨﴾﴾ وقال: ﴿.. وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٣٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ .. ﴿١٤٢﴾﴾.

فإن قلت: المواعدة كانت أمراً بالصوم فى هذا العدد فكيف ذكر الليالى مع أنها ليست محلاً للصوم؟

قلت: العرب فى أغلب تواريخها إنما تذكر الليالى وإن أرادت الأيام لأن الليل هو الأصل فى الزمان والنهار عارض لأن الظلمة سابقة فى الوجود على النور مع أن الليل ظرف لبعض الصوم وهى النية التى هى ركن فيه.

٣٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .. ﴿١٤٢﴾﴾.

إن قلت: ما فائدته مع علمه مما قبله؟

قلت: فائدته التوكيد، والعلم بأن العشر ليال لا ساعات ورفع توهم أن العشر داخلة فى الثلاثين بمعنى أنها كانت عشرين وأتمت بعشر.

٣٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾. أى أنا أول من آمن من بنى إسرائيل فى زمنى.

أو بأنك لا ترى فى الدنيا بالحاسة الفانية.

٣٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿..وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

﴿بأحسنها﴾ أى التوراة.

إن قلت: كيف قال ﴿بأحسنها﴾ مع أنهم مأمورون بجميع ما فيها؟

قلت: معنى ﴿بأحسنها﴾ بحسنها وكلها حسن.. أو أمروا فيها بالخير، ونهوا عن الشر وفعل الخير أحسن من ترك الشر أو أن فيها حسنًا وأحسن كالقود والعفو، والانتصار والصبر، والمأمور به والمباح فأمروا بما هو الأكثر ثوابًا.

٣٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ.. ﴿١٤٨﴾﴾ ليس المراد من بعد زمن موسى، لأن اتخاذ قومه ذلك إنما كان فى زمنه، بل المراد من بعد ذهابه إلى الجبل أو من بعد عهد، إليهم أن لا يعبدوا غير الله.

٣٨١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ .. ﴿١٤٩﴾﴾ أى ندموا على عبادتهم العجل.

إن قلت: كيف عبر عن الندم بالسقوط فى اليد؟

قلت: لأن عادة من اشتد ندمه على فائت أن يعض يده غمًا كما فى قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ فتصير يده مسقوطًا فيها، لأن فاه قد وقع فيها.

٣٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا .. ﴿١٥٠﴾﴾.

إن قلت: يعنى غضبان عن أسف؟

قلت: لا، لأن «الأسف» الحزين، وقيل: الشديد الغضب.

٣٨٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ الجملة الثانية فيها حال من الألواح والمعنى: أخذ الألواح والحال أن فيما نسخ فيها أى كتب هدى ورحمة.

٣٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾. أى اتبعوا القرآن الذى أنزل معه ـ أى مع النبى ـ ﷺ.

فإن قلت: القرآن لم ينزل مع النبى، بل عليه وإنما نزل مع جبريل؟

قلت: ﴿معه﴾ بمعنى: «مقارنًا لزمنه» أو بمعنى عليه أو هو متعلق باتبعوا أى اتبعوا القرآن كما اتبعه هو، مصاحبين له فى اتباعه.

٣٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ خص الصلاة بالذكر مع دخولها فيما قبلها اظهارًا لمرتبتها لكونها عماد الدين وناهية عن الفحشاء والمنكر.

٣٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث .. ﴿١٧٦﴾﴾.

فإن قلت: هذا تمثيل لحال «بلعام» فكيف قال بعده: ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾ ولم يضرب إلا لواحد؟

قلت: المثل فى الصورة وإن ضرب لواحد فالمراد به كفار مكة كلهم لأنهم صنعوا مع النبى ﷺ بسبب ميلهم إلى الدنيا من الكيد والمكر، ما يشبه فعل «بلعام» مع موسى.

أو أن ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿ذلك مثل القوم﴾ لا إلى أول الآية.

٣٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

إن قلت: كيف جمع بين الأمرين؟

قلت: المراد بالأول تشبيههم بالأنعام فى أصل الضلال لا فى مقداره وبالثانى فى بيان مقداره.

وقيل: المراد بالأول التشبيه فى المقدار أيضًا، لكن المراد به طائفة، وبالثانى أخرى، ووجه كونهم أضل من الأنعام، أنها تنقاد لأربابها وتعرف من يحسن إليها، وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانهم إليهم، من إساءة الشيطان الذى هو عدوهم.

٣٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿ .. إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

إن قلت: كيف خص المؤمنين بالذكر مع أنه نذير وبشير للناس كافة كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرا﴾.

قلت: خصهم بالذكر، لأنهم المنتفعون بالإنذار والبشارة.

٣٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا .. ﴿١٩٠﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قال عن «آدم وحواء» ذلك مع أن الأنبياء معصومون عن مطلق الكبائر، فضلاً عن الشرك الذى هو أكبر الكبائر؟

قلت: فيه حذف مضاف أى جعل أولادهما شركاء له ﴿فيما أتاهما﴾ أى أتى أولادهما بقرينة قوله تعالى: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ بالجمع. ومعنى إشراك أولادهما فيما أتاهم الله، تسميتهم أولادهم بـ «عبدالعزى» و«عبد مناة» و«عبد شمس» ونحوها مكان «عبدالله» و«عبدالرحمن» و«عبدالرحيم».

٣٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ .. ﴿١٨٨﴾ ﴾ قدم النفع هنا على الضر وعكس فى «يونس:١٨» لأن أكثر ما جاء فى القرآن من لفظى: الضر، والنفع معًا، جاء بتقديم الضر على النفع، ولو بغير لفظهما، كالطوع والكره فى الوعد، لأن العابد يعبد معبوده، خوفًا من عقابه أولاً، ثم طمعًا فى ثوابه ثانيًا، كما قال تعالى: ﴿يدعون ربهم

خوفًا وطمعًا﴾ وحيث تقدم النفع على الضر، تقدمه لفظ تضمن نفعًا، وذلك فى ثمانية مواضع: هنا وفى «الوعد:١٦» و«سبأ:٤٢» و«الأنعام:٧١» وآخر يونس، وفى «الأنبياء:٦٦» و«الفرقان:٥٥» و«الشعراء:٧٣».

فقدم هنا النفع لموافقة قوله قبله ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ الآية. وقوله بعده: ﴿لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء﴾ إذ الهداية والخير من جنس النفع، وقدم الضر فى آخر يونس على الأصل ولموافقة قوله قبله ﴿ما لا يضر ولا ينفعهم﴾.

« تمت سورة الأعراف »

obeikandl.com